

دلائل الإعجاز

ويؤمنون وأشباه ذلك . ولا يجوز أن يكون الإعجاز بأن لم يُلْتَقَ في حروفه ما يثقل على اللسان .

وجملة الأمر أنه لن يعرض هذا وشبهه من الظنون لمن يعرض له إلا من سوء المعرفة بهذا الشأن أو للخذلان أو لشهوة الإغراب في القول . ومن هذا الذي يرضى من نفسه أن يزعم أن البرهان الذي بان لهم والأمير الذي بهرهم والهيئة التي ملأت صدورهم والرّوعة التي دخلت عليهم وأزعجتهم حتى قالوا : " إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر " . إنما كان بشيء راعاهم من مواقع حركاته ومن ترتيب بينها وبين سكتاته أو لفواصل في أواخر آياته من أين تليق هذه الصفة وهذا التشبيه بذلك أم ترى أن ابن مسعود حين قال في صفة القرآن : " لا يتدفه ولا يتدشان " وقال : " إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دُمثات أتأزق فيهم " أي أتتبع محاسنهن . قال ذلك من أجل أوزان الكلمات ومن أجل الفواصل في أواخر الآيات أم ترى أنهم لذلك قالوا : لا تفتن عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد . أم ترى الجاحظ حين قال في كتاب " النبوة " : " ولو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها ومخارجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها . ولو تحدث بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها لَغَا ولغط " .

انظروا إلى مثل ذلك فليس كلامه هذا مما ذهبوا إليه في شيء .

ويدنبغي أن تكون موازناتهم بين بعض الآي وبين ما قاله الناس في معناها كموازناتهم بين :